

فوائد غض البصر

إحداها: تخلص القلب من الحسرة، فإن من أطلق نظره دامت حسرته، فأضر شيء على القلب إرسال البصر فإنه يريه ما لا سبيل إلى وصوله ولا صبر له عنه، وذلك غاية الألم .

قال الفرزدق:

تزود منها نظرة لم تدع له
فوادًا ولم يشعر بما قد تزودا
فلم أر مقتولًا ولم أر قاتلًا
بغير سلاح مثلها حين أقصدا

وقال آخر:

ومن كان يؤتى من عدو وحاسد
فاني من عيني أتيت ومن قلبي
هما اعتوراني نظرة ثم فكرة
فما أبقيا لي من رقاد ولا لب

وقال ابن المعتز:

متيم يرعى نجوم الدجى
يبكي عليه رحمة عادله
عيني أشاظت بدمي في الهوى
فابكوا قتيلًا بعضه قاتله

و لابن القيم:

ألم أقل لك لا تسرق ملاحظة
فسارق اللحظ لا ينجو من الدرك
نصبت طرفي له لما بدا شركًا
فكان قلبي أولى منه بالشرك

الثانية: أن غض الطرف يورث القلب نورًا وإشراقًا، يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورث ذلك ظلمة وكآبة.

قال ابن القيم في كتابه "روضة المحبين ونزهة المشتاقين" لما ذكر هذه الفائدة: ولهذا والله أعلم ذكر سبحانه آية النور في قوله: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [النور: ٣٥] عقب قوله: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) [النور: ٣٠] وتقدم حديث: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس». وفي بعض رواياته: «فمن غض بصره عن محاسن امرأة أورث الله قلبه نورًا».

الثالثة: أنه يورث صحة الفراسة، فإنها من النور وثمراته، فإذا استنار القلب صحت الفراسة، فإنه يصير بمنزلة المرأة المجلوة تظهر فيها المعلومات كما هي، والنظر بمنزلة التنفس فيها، فإذا أطلق العبد نظره تنفست نفسه الصعداء في مرآة قلبه فطمست نورها، كما قيل في ذلك:

مرآة قلبك لا تريك صلاحه
والنفس فيها دائمًا تنتفس

وقال شجاع الكرماني -رحمه الله تعالى-: من عمّر ظاهره باتباع السنّة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، وأكل من الحلال، لم تخطئ فراسته.

وكان شجاع لا تخطئ له فراسة؛ فإن الله سبحانه يجزي العبد من جنس عمله، فمن غض بصره عن المحارم عوضه الله سبحانه إطلاق نور بصيرته، فلما حبس بصره له تعالى، أطلق له بصيرته جزاءً وفاقًا.

الرابعة: أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه، وذلك سبب نور القلب، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات، وانكشف له بسرعة، ونفذ من بعضها إلى بعض، ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه وأظلم، وانسد عليه باب العلم وأحجم.

الخامسة: أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته، فيجعل الله له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة، وفي أثر أن الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله. ولذا يوجد في المتبع لهواه من ذل القلب وضعفه ومهانة النفس وحقارتها ما جعله الله لمؤثر هواه على رضاه، بخلاف من أثر رضا مولاه على هواه، فإنه في عز الطاعة وحصن التقوى، بخلاف أهل المعاصي والأهواء.

قال الحسن: إنهم وإن هملجت بهم البغال، وطقطقت بهم البراذين إن ذل المعصية لفي قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.

وقال بعض المشايخ: الناس يطلبون العز في أبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله، فمن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه. ومن عصاه عاداه فيما عصاه فيه.

وفي دعاء الفتوت: «إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت».

السادسة: إنه يورث القلب سرورًا وفرحة أعظم من الالتذاد بالنظر، وذلك لقهره عدوه وقمع شهوته ونصرته على نفسه، فإنه لما كف لذته وحبس شهوته لله تعالى، وفيهما مضرة نفسه الأمانة بالسوء، أعاضه الله سبحانه مسرة ولذة أكمل منهما، كما قال بعضهم: والله للذة العفة أعظم من لذة الذنب.

ولا ريب أن النفس إذا خالفت هواها أعقبها ذلك فرحًا وسرورًا ولذة أكمل من لذة موافقة الهوى بما لا نسبة بينهما، وهنا يمتاز العقل من الهوى.

السابعة: أنه يخلص القلب من أسر الشهوة، فلا أسر أشد من أسر الشهوة والهوى، قد سلب الحول والقوة وعز عليه الدواء، فهو كما قيل:

كعصفورة في كف طفل يسومها
حياض الردى والطفل يلهو ويلعب

الثامنة: أنه يسد عنه بابًا من أبواب جهنم، فإن النظر باب الشهوة الحاملة على موافقة الفعل، وتحريم الرب تعالى وشرعه حجاب مانع من الوصول، فمتى هتك الحجاب تجرأ على المحظور، ولم تقف نفسه منه عند غاية؛ لأن النفس في هذا الباب لا تقنع بغاية تقف عندها، وذلك أن لذته في الشيء الجديد، فصاحب الطارف لا يقنعه التلذذ وإن كان أحسن منه منظرًا أو أطيّب مخبرًا.

فغض البصر يسد عنه هذا الباب، الذي عجزت الملوك عن استيفاء أغراضهم فيه، وفيه غضب رب الأرباب.

التاسعة: أنه يقوي عقله ويثبتته ويزيده، فإرسال البصر لا يحصل إلا من قلة في العقل، وطيش في اللب، وخور في القلب، وعدم ملاحظة للعواقب، فإن خاصة العقل ملاحظة العواقب، ومرسل الطرف لو علم ما تجني عواقب طرفه عليه لما أطلق بصره، ولذا قال بعضهم:

وأعقل الناس من لم يرتكب سببا
حتى يفكر ما تجني عواقبه

العاشرة: أنه يخلص القلب من سكرة الشهوة ورقدت الغفلة، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة، ويوقع في سكرة العشق، كما قال تعالى في عشاق الصور: (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) [الحجر: ٧٢]، فالنظرة كأس من خمر، والعشق سكر ذلك الشراب.

وآفات العشق تكاد تقارب الشرك، فإن العشق يتعبد القلب -الذي هو بيت الرب- للمعشوق.

وفوائد غض البصر وآفات إطلاقه أكثر من أن تذكر، وفيما ذكرنا كفاية، وقد علمت الفوائد، والآفات في ضمنها، فما من فائدة إلا وتركها آفة ومفسدة.

وقال المروزي: قلت لأحمد -رضي الله عنه-: الرجل ينظر إلى المملوكة؟ قال: أخاف عليه الفتنة، كم نظرة ألق في قلب صاحبها البلابل.

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: الشيطان من الرجل في ثلاثة: في بصره، وقلبه، وذكره، وهو من المرأة في ثلاثة: في بصرها، وقلبه، وعجزها.

والله اعلم.

[غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب،

للعلامة السفاريني -رحمه الله-، (١ / ٢٧٦-٢٨١)]

فوائد غض البصر للعلامة السفاريني -رحمه الله-

 miraathNet

 Miraathf

 Miraath.net

 miraathNet

 Miraath_net



ميراث النبيا
مخفوق الطب مع محفوظه